الفكر العربي المعاصر

المستوى : سنة أولى ماستر –أنثروبولوجيا اجتماعيه وثقافية

المقياس: **الفكر العربي المعاصر**

المحاضرة رقم (01): **الفكر العربي المعاصر**

تعريف الفكر العربي المعاصر

تعريف الفكر العربي:

يمثل الفكر في حياة الإنسان الثقافية والحضارية والتاريخية العامل المحرك الذي يشكل الإنسانية بكل أبعادها في الفرد والمجتمع والدولة والأمة ويحرك التاريخ ويصنع الحضارة، فمن دون الفكر يبقى الإنسان رهين لبهيميته لا تشغله إلاّ شهوته. ويتعدد الفكر ويتنوع بتنوع بيئات الشعوب والأقوام والأمم والمجتمعات الجغرافية والسياسية وغيرها.

والفكر العربي أحد أنواع الفكر التي عرفتها تاريخ الإنسانية، له منظومته وخصوصيته، ارتبط بالوجود العربي وتطوّر عبر العصور متأثرا بسائر التحوّلات التي عرفها الإنسان في حياته، يتحدد بالتراث العربي وما انبثق عنه من منظومات فكرية وعلمية وفلسفية منذ القديم حتى الآن، كما يتحدد بالتراث العربي متمثلا في ديوان العرب قبل الإسلام، وفي سائر عناصر الثقافة العربية الفكرية والدينية والأخلاقية والسلوكية، التي جاءت وتطوّرت بعد الإسلام إلى يومنا هذا، ويتحدد كذلك بما أفرزه امتزاج التراث العربي بالتراث المسيحي والإسلامي بالفكر الإنساني القديم والحديث والمعاصر وبمشكلات وتحدّيات العصر الحاضر وتحوّلاته.

* فالفكر العربي أي في جانبه العربي يشمل كل ما هو عربي صرف، عربي يهودي، عربي مسيحي عربي صابئي، عربي بمعتقدات وأفكار ومعارف أخرى، ويظم كل ما هو عربي ممزوج بغيره استوعبته الثقافة العربية والبيئة العربية في توافق وانسجام قبل الإسلام، كما يشمل كل ما هو عربي تطوّر وامتزج بالإسلام وتطوّر بعد امتزاجه بالإسلام، وبعد امتزاجه بثقافات وديانات وفلسفات أخرى، بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاك العرب والمسلمين واللغة العربية والثقافة العربية بشعوب وأمم غير عربية في مشارق الأرض ومغاربها، عن طريق الفتوحات الإسلامية والتجارة والأسفار العلمية وغيرها، ولعبت حركة الترجمة دورا كبيرا في نقل التراث الفكري والفلسفي والأدبي وغيره إلى العرب والمسلمين.

ولعل سائل يسأل ما هو الفرق بين الفكر العربي والفكر الاسلامي فنجيب بأن الفكر الإسلامي فهو اعم من الفكر العربي، من حيث ان الاول مرتبط بالدين الإسلامي عقيدة وشريعة ولاتصاله بالثقافة الإسلامية وبحياة المسلمين، اما الفكر العربي فيرتبط بالقومية العربية، فهنا قومية واحدة وديانات متعددة، اما في الفكر الاسلامي فديانة واحدة وقوميات متعددة.

خصوصية الفكر العربي

ويمكن ارجاع خصوصية الفكر الى مجموعة من المكونات الثقافية التي تشكل هوية الانسان العربي وخصوصيته والتي هي :

1. **اللغة**، فاللغة العربية لغة أم لها تاريخ عريق في تاريخ اللغات والمجتمعات على هذه الارض، وبها تحققت كينونة الوجود العربي.

2. **الأرض**، للمكان الاثر الكبير والمؤثر على الانسان، والانسان العربي ابن الجغرافية والمحيط الذي ينتمي له، وقد أكد الفلاسفة على اهمية واثر الجغرافيا في الانسان، وطريقة عيشه مع نفسه ومع الجماعة.

3. **التاريخ**، لكل فرد ومجتمع وجماعة تاريخها الذي تنتمي له، الذي يحمل أرثها ووجودها ووقائعها وأحداثها طوال التاريخ، والتاريخ يشكل معالم شخصية الانسان وطريقة تواصله بين الاجيال والاحداث التي ينتمي لها ذلك الانسان، والانسان العربي له تاريخ عريق مليء بالوقائع والقصص التي تميزه عن غيره من الافراد والمجتمعات.

4. **الثقافة**، لكل جماعة ثقافتها التي تحركها وتنتمي لها وتشكل هويتها، من عادات وتقاليد وفنون وآداب وتراث وفلكلور تشكل بصمة كل قوم وجماعة في هذا العالم، وهي مختلفة من مكان الى آخر، بأختلاف الجماعات والامم، وللانسان العربي ثقافته الخاصة التي صنعت هويته، تشترك فيها الشعوب العربية اليوم باختلاف الدول وحدودها المصطنعة، فالثقافة العربية هوية صنعت شخصية الانسان العربي وطريقة تفكيره وعيشه وسلوكه مع نفسه ومع الجماعة.

5. **الفكر**، كل ما تقدم من مكونات هي عوامل اساسية شكلت هوية محددة لطريقة تفكير الانسان عامة والانسان العربي على وجه التحديد، فانتمائه الى لغة عربية ومكان عربي وتاريخ عربي وثقافة عربية كل هذه شكلت هوية الانسان العربي وخصوصيته وطريقة تفكيره بين القوميات والهويات المختلفة الموجودة في هذا العالم، شأنه شأن غيره من البشر في المجتمعات الأخرى. فهذه المكونات مجتمعة تشكل هوية الانسان وخصوصيته وتحقق وجوده وترسم مساره ومسيرته في العيش والتفكير والحياة في هذا الوجود.

– إذا كان العقل في جوهره عالمي الهوية و الجذور، إنساني الملامح و الآفاق، فإن العقلانية غير ذلك، إذ هي تتعدد بتعدد الثقافات و الأمم، و من ثم فإن العقلانيات العربية اليوم هي حقيقة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه. الشيء الذي حمل الفكر العربي منذ نهاية القرن الماضي إلى محاولات عدة لتجاوز واقعه من خلال تجاوز التراث بإعتباره ماضيا متخلفا غير مساير لما يحياه. و ذلك باستلهامه مفاهيم من الفكر الأوروبي ليتمكن من التوفيق و إقامة التوازن بين واقعه و واقع مغاير له، انطلاقا من أنهما لحظتان فكريتان مختلفتان، حيث الفكر الطبيعي و التقني هو نتاج أوروبا الحديثة، و الأفكار الروحية هي تراثه، و من ثم أجريت عملية تكييف و محاولة تبيئة للفكر التقني الأوروبي، لكي يتوافق مع الأفكار الروحانية، كما أجريت عملية مماثلة للأفكار الروحية لكي تقبل التقنية و أصبح بالتالي جوهر المشكلة هي ما الذي نأخذه من الآخر باعتباره "متقدّما" و ما الذي نتمسك به في تراثنا؟. فلاشك من أن الصّدمة التي حدثت بيننا و بين الآخر قد أفضت بالضرورة إلى دخول ثقافة الآخر على مجتمع يحوي ثقافة واحدة (أو لنقل فكرا واحدا) هي الثقافة العربية الإسلامية، (التي تمثل ثقافة الأمة كلها)، هذا الدخول الذي أدى إلى نشوء تضاد بين "ثقافتين" ثقافة أوروبية في مقابل ثقافة عاجزة عن إنتاج فكر. فكان من نتائج تلك (الصدمة) دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية دون مجابهة تضمن استبدال

التوازن القديم إلى المجتمع بتوازن جديد أكثر فعالية و إنسانية، إذ في هذا الإطار نعتقد بأن ثنائية الأنا/ الآخر أصبح لها مغزى أعمق مما هو باد يعبر عن انكماش "الذات" "الأنا" و "الهوية" و تقوقعها، و انغلاقها، خوفها من الآخر... و لا يحدث هذا الانكماش في اعتقادنا إلا حينما تكون البنى الثقافية المعبرة عن "الذات" و "الأنا" و "الهوية" عاجزة، أو ميتة.

و عليه لم تكتسب العقلانية شرعيتها كمفهوم على المستوى الفلسفي و السياسي.. في الفكر العربي، و لم تكن امتداد أو استمرار للفكر العربي، و إنما هي إحدى المسبقيات المعرفية التي فرضت نفسها في ثنايا الفكر العربي، بعد التعرف على مصادر الفلسفة و النهضة الأوروبية و عصر الأنوار أو لنقل بعد الصدمة تحديدا. تعرف الفكر العربي على العقلانية كان إثر لقائه بالغرب، هذا التعرف الذي كان و لا يزال بتميز بالحذر بكثير من المد و الجزر. لأن ما يبرر عدم وجود العقلانية كممارسة قائمة على الإيمان بقدرة العقل و على تفسير المعقول و اللامعقول...إلا أن الفكر لا يزال عاجزا عن المواجهة اللاعقلانية السائدة، و عن تأسيس تنظير عميق لسيرورة مقترحة لعقلنة الواقع، أو على الأقل لعقلنة جوانب من الممارسة الواقعية.. فهو لا يزال يعاني صدمة التحولات الكبرى التي تقع أمام عينيه بدون أن يساهم فيها مباشرة، كما لا يزال يأخد منها مواقف تحددها مرجعية ماضوية تقليدية عوض أن تكون مرجعية ذات معقولية واضحة مبنية على الاستبدال و التجريب...في حين الرجوع إلى معقولية التفكير يفيد تحرر الفكر من المرجعية الماضوية الضيقة، فالعقل هو مفتاح الحداثة و المعقولية هي سبيل التحديث، لذا نجد الفكر العربي تميز بثلاث مستويات من العقلانية :

- المستوى الأول : تواجد لا عقلانية متخلفة و سابقة زمنيا تمثلت في الموروث القديم الذي كان سائدا من رؤى سحرية و واقع متصف في معظمه باللامعقول.

- المستوى الثاني :حضور عقلانية (فوقية) كونها مكتسبة عن الآخر أي انفعالية اتجاه آليات الحضارة الحديثة، و ذلك ما مثله الفكر النهضوي في القرنين الأخيرين.

- المستوى الثالث :هناك عقلانية تأسيسية من خلال استيعاب المناهج المعاصرة و الطروحات المختلفة التي و أن اتفقت على منطلق "النهوض" فإنها تختلف في الرؤية و التعامل في تحقيق هذا النهوض فمن هذا المستوى الأخير كرَس الكثير من المثقفين العرب جهدهم و محاولاتهم للبرهنة على ضعف الأسس المنطقية لهذا الجانب أو ذاك من الثقافة العربية الإسلاميةالتقليدية، أو قوة هذه الأسس في هذا الميدان أو ذاك من الفكر العربي الإسلامي... و الحقيقة أنهم كانوا هنا و هناك من خلال طرح إشكالياتهم و مقاربات تحليلاتهم..يصبَون في محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية :

– عن ما مدى حضور العقل و العقلانية في الفكر العربي قديما أو حديثا؟ و عن مكانة العقلانية و أنواعها، و دلالتها في أنواع الخطاب العربي و التساؤل بالتالي عن مستقبل نمط التفكير العربي، و عن مدى إمكانية تطوير "عقل عربي" مبدع، منتج؟ بل و أيضا عن إمكانية تأسيس عقلانية عربية إستشرافية مجابهة لزخم التحولات التي تشهدها الساحة الفكرية العالمية خاصة.

– ضمن هذه التساؤلات و غيرها... كانت هناك مقاربة تأسيسية ذات طابع استقصائي لعقلانيات الفكر العربي، غايتنا في ذلك استقراء مدى تواجدها، و كيفيات طرحها، و بالتالي الكشف عن إمكانية تأسيسها من خلال الاتجاهات و النماذج الفكرية العربية التي تبنتها سواء كهاجس أو طموح أو محاولة تكريس.. لذا كان اختيارنا "للجابري" كمفكر عربي معاصر إلا

لأنه من جهة يمثل في اعتقادي نموذج تطبيقي للاشكالية، و من جهة أخرى يحمل مشروعا ثقافيا يعيد وعينا بالتاريخ من خلال رسم حدود عقلنا العربي بنظام العلاقة التي تحكمه من خلال جينالوجيا العقل، فنموذجنا إذن، يحمل على عاتقه مهمة النقد العلمي لبنية "العقل العربي"، بهدف ارساء قاعدة نظرية نقدية ينطلق منها لتغيير بنية التفكير و الثقافة العربيين في العصر الحديث بما ينسجم و مقتضيات التقدم في العصر الحديث.. و بالتالي تحقيق تنمية في الفكر العربي المعاصر قائمة على الطرح العقلاني لكل قضايا الفكر.

أولا: المدخل الاصطلاحي : (العقل، العقلانية)

1-1: العقلانية كمفهوم في الفلسفة الأوروبية الحديثة (النهضة و عصر الأنوار)

لقد كانت محاولتنا من خلال المدخل الاصطلاحي أولا، محاولة لضبط مفهوم العقلانية كمفهوم و نظام قائم على الاستدلال (العقل) في مقابل (تضاد) أنظمة قائمة على المثالية أو الحسيّة، كما أنها تضاد للعفوية القائمة على الدوافع اللاعقلانية كمصدر لكل فعل إنساني، و بالتالي حاولنا أيضا استجلاء مفهومها كرؤية للعالم مبنية على الاتفاق الكلي بين ما هو عقلي (التناسق) و واقع الكون. تبعا لهذا السياق الاصطلاحي و المفهومي حاولنا في المبحث التركيز على تاريخية مفهوم العقلانية من خلال نشأتها و تطورها كاتجاه في الفكر الأوروبي الحديث (النهضة و عصر الأنوار) هذا الاتجاه الذي ظهر في القرن السادس عشر و ما بعده، و الحامل لأولية العقل، منطلقا في عدة معان متكاملة و متفاوتة، مقصيا بذلك من الواقع كل ما ليس عقليا أو ذو طابع عقلي (أي خارج عن دائرة التفسير العقلي) و بشيء من التركيز أيضا حاولنا إبراز الشروط التي أنتجت الاتجاه و المفهوم.. كالتطور الصناعي، و الاكتشافات العلمية المعرفية و الجغرافية.. التي كان لها دور ضاغط باتجاه عقلنة كل جوانب الحياة استجابة لمطلب الكم و النوع في التراكم الصناعي، معتمدين في ذلك على نذمجة لممثلي هذا الاتجاه على المستوى الفكري و الفلسفي "كديكارت"، و "كانط"..آخذين بعين الاعتبار اختلاف نمط العقلانية داخل هذا الاتجاه.

<u>1-2: العقلانية كمفهوم في الفلسفة المعاصرة (الحداثة و ما بعد الحداثة).</u>

حاولنا في هذا المبحث الانتقال من عصر الأنوار و ما شهده من ثورات في مختلف المجالات كونه مثل نقطة تحول كبرى في النظام المعرفي الغربي..إلى ما أصبحت عليه العقلانية كمفهوم تداولي في الفلسفة المعاصرة، و بالذات في الفكر ما بعد التنوير أو ما بعد الحداثة أي فكر التساؤلات أو التحولات الكبرى من خلال وضع العقل – العقلانية محل سؤال، عبر إعادة النظر في هذا اللامعقول الذي أقصاه عصر التنوير..و عبر تكسير صنم العقلانية الذي انتهجته الحضارة الحديثة كمنهج و مذهب. و العودة إلى اكتشاف مصادر العقل اللامعقولة.. مما يفسر اهتمام الغربي بالمقدّس، و السرّي، و اللامرئي في ساحة الفكر اليوم. فاعتمدنا هنا على تيارات مختلفة في هذا المجال من خلال وقوفنا على مواقف مفكرين، "كفرويد"، "باشلار"، "ليفي ستروس"، "فوكو" بوصفهم معبرين عن هذا الفكر الما بعد حداثة في الفكر الغربي.

ثانيا : فهم العقل في التراث العربي الإسلامي

2-1 : مفهوم العقل عند المتكلمين (طبيعته و وظيفته)

من خلال المدخل الإشكالي للفصل الذي حاولنا فيه تقصي اصطلاح العقل لغة و معنى و تقصي دلالته خاصة في القرآن الكريم باعتباره مرجعية نصية لا محيد عنها في الفكر العربي قديما أو حديثا، تتبعنا مفهوم العقل عند الكلاميين كيف عرَفوه و فهموه، و من ثم كيف وظّفوه في مختلف القضايا التي تجادلوا حولها.. مركزين في ذلك على مسألة استخدامه إما كقدرة إلهية لعقلنة النص الديني، و إما كقدرة برهانية للدفاع عن العقائد، و قد اتخدنا في هذا المبحث فرقة المعتزلة كتيار بارز ضمن الفرق الكلامية حرصا منا مع ما يتماشى و منطق البحث الذي اعتمدنا، مع الإشارة إلى أن هذا المبحث كان مختصرا و مكثفا إلى أبعد الحدود حتى لا يكون على حساب إشكالية البحث.

2-2 : إشكالية العقل و النقل عند الفلاسفة المسلمين

لقد أفردت هذا المبحث للنظر في اشكالية العقل و النقل من أجل الوقوف على البواكير و الإرهاصات الأولى لبعض أنماط التفكير العقلاني من خلال اضطرار الفلاسفة المسلمين من اتخاذ موقف اتجاه مسألة التوفيق بين الدين و الفلسفة، و طبعا حضور العقل في هذه الأخيرة كقدرة على تأويل النص و تكييفه بما يتوافق و الشريعة كان من أهداف بحثنا إبراز إمكانية العقل و حدوده عند هؤلاء الفلاسفة،و من ثم إبراز تلك الجهود العقلانية التي طبعت تفكيرهم.. كما جاء اقتصارنا على "ابن رشد" و "ابن خلدون" كوقفات لهذا المبحث لسببين :

1. باعتبارهما شكلا منعرجا معرفيا بارزا من خلال إعادتهما النظر في مسار الثقافة العربية الإسلامية.
2. كونهما مثلا "للجابري" (موضوع بحثنا) مرجعية تنويرية في مسار العقل العربي، الشيء الذي جعله يدمجهما ضمن مشروعه النقدي كحل تجاوزي للقراءة و للتعامل مع التراث.

ثالثا : العقلانية في الفكر النهضوي و الفكر العربي المعاصر

3-1: مشروع العقلانية في الخطاب السلفي و الخطاب الليبرالي

في هذا المبحث ركزنا بصفة أكثر على المنطلقات و المفاهيم الموظفة داخل الخطاب النهضوي بتياريه الرئيسيين (السلفي، الليبرالي) كونهما اتسما بمواقف و طروحات بديلة لتجربة النهضة الغربية عموما و لمواجهتهما للوضع العربي بكل ما يحمل خصوصا. مما جعلنا في هذه المحاولة نبرز إشكالية الثنائية (اللأنا/الآخر) و التي ترددت في الخطابين، مركزين على الخطاب الليبرالي الحامل لمشروع العقلنة، التقدم.. و إذن الكيفية التي تصورها بعض الرواد و نظروا لها من خلال محاولاتهم في إبراز الشروط الضرورية لتجاور الإنحطاط.

3-2 : هاجس العقلانية في الفكر المعاصر

في هذا المبحث حاولنا الوقوف عند أهم التيارات الفكرية التي أجمعت على أن أهم شروط تحقيق النهضة هو العمل على تحديث أو تجديد النظر إلى مسألة التراث.. فكان اختيارنا لبعض رواد هذه التيارات على اعتبار اهتمامهم بقضايا التراث شكل منعطفا على مستوى الفكر العربي المعاصر من خلال تشخيصهم لأزمته و من ثم نقد بناه المنتجة له.. و على اعتبار أن معظم كتابتهم طبعت بمفاهيم ذات طابع "استنساخي" تارة "و "منحوتة" تارة أخرى.. رغم توجهاتهم التي اختلفت من حيث المنهج و الموقف و الرؤية اتجاه التراث، إلا أننا حولنا تصنيف هذه التوجيهات على أساس المنطلق الفكري الذي طبع توجهاتهم، غايتنا في ذلك الوقوف على إشكالياتهم و طبيعة منهجهم، و من ثم محاولة تقييم حلولهم.. بما يتماشي و ما رسمناه لهذا البحث.

رابعا: محمد عابد الجابري : من أجل تدشين عقلانية عربية جديدة.

4-1 : الجابري : إشكالية المنهج (بين الرؤية و التطبيق)

إضافة إلى ما سبق في التوضيح اختيارنا لنموذج "الجابري" فإننا في هذا الفصل و من خلال هذا المبحث قد حاولنا فحص و دراسة الأهداف المعلن عنها في مشروعه النقدي للعقل العربي و ذلك بالتركيز على أطروحتين بارزتين في مشروعه.

- الأولى : و تخص رؤيته اتجاه تعامله مع التراث انطلاقا من الغاية التي حددها في نقد العقل العربي و المتمثلة في تدشين عصر تدوين جديد، و إمكانية كسر البنية الفقهية السائدة، و خلخلت التقليدي من أجل إزاحته بغرض استقلال الذات العربية و المشاركة في إبداع التاريخ.

- الثانية : و تخص إشكالية المنهج من خلال إبراز الكيفية التي مكنته من قراءة التراث "قراءة معاصرة" و قادته إلى فهمه في بنيته و ضمن علاقته بتاريخه، كما حاولنا التركيز على الطريقة التي اعتمدها – حسب اعتقاده – إلى استثمار عناصر التراث الإيجابية، للإجابة على تطلعاتنا الراهنة.

من هاتين الأطروحتين حددنا الوقوف مسبقا على تحليله المنهجي المتصف بخصائص ثلاثة : تحليل بنيوي، تاريخي، إيديولوجي من خلال كتاباته الرئيسية للمشروع : تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي. بالإضافة إلى مصادر أخرى لها علاقة بالمشروع.

4-2 : الجابري : من التجاوز إلى تأسيس

هذا المبحث بمثابة مقاربة نقدية للمشروع الجابري من خلال التساؤلات التالية :

إلى أي مدى تمكن "الجابري" من تجاوز القراءات السابقة للتراث و بالتالي من تحقيق القطيعة الابستمولوجية التي اعتمدها سلاحا نقديا.؟ إلى أي مدى استطاع من أن يجمع في قراءته للتراث بين تمثله في ذاته و استثماره من أجل قضايانا الحاضرة؟. ما طبيعة العقلانية التي يدعو إليها في الفكر العربي؟ و ما قيمة المناهج المتعددة معرفيا و التي وظفها كبديل ضروري اتجاه ما أسماه "بالمنهج الجاهز".

و أخيرا، هل وضَعنا فعلا على أبواب استشرافية تمكّننا من الوقوف على ميلاد عقلانية عربية جديدة؟

من خلال هذه التساؤلات و غيرها.. كانت مقاربتنا النقدية هاته، و التي لم تهدف إلى دراسة كل إنتاجات "الجابري" المتواصلة بقدر ما هدفت إلى ملامسة الغاية التي انطلقنا منها و حددناها لهده الدراسة ككل.

المراجع:

1-الجابري محمد عابد،المشروع النهضوي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، 1992 .
2-حنفي حسن في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ،1983.
3-سليم دولة : ماالفلسفة ما الثقافة ،دار بيرم للنشر، تونس، الطبعة 2، 1988.
4-شرابي هشام ، المثقفون العرب والغرب ، عصر النهضة ،1875.
5-طاهر لبيب سوسيولوجية الثقافة، دار محمد علي الحامي ، تونس ، 1988.
6-الجابري محمد عابد ، إشكالات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1989.
7-الجابري محمد عابد ، الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، مارس ،1992.
8- الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية للنظم المعرفية في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1986.
9- الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي ، الطبعة الخامسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1991.